﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٢٢﴾ [الأنعام: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

العلاقةُ بين مصيرِ الكَذَبَةِ المفتَرينَ، وبين حَشْرِهم مع شركائِهم المزعومينَ

لمّا دلَّتِ الآيةُ السّابقة على أنَّ الَّذين خَسِروا أنفسَهم، وأنَّهم أكذبُ النّاس وأَشَدُّهُمُ افتراءً على اللّه – دلَّل على كذبِهم وافترائِهم، بسؤالِهم في يوم الحَشْر عن شركائِهم الَّذين كانوا يعبدون. وأيضًا لمّا خُتمتِ الآيةُ السّابقة بنفي الفلاح عنِ الظّالمين؛ جاءت هذه الآيةُ لِتُبيِّنَ أنَّهم يجدون ذلك – فَضْلًا عنِ الدُّنيا – في يوم الحشر، عندما يقفُ هؤلاء الَّذين ظَلموا ومعبوداتُهم في أرض المحشر، كما قال تعالى: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصّافات: 22 - 23].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾: الحشْرُ: الجمعُ، يُقال: حَشَرْتُ مالي، أَحشُرُهُ، حَشْرًا، أي: جمعتُه، ومنه سمّيتِ الحشراتُ بذلك؛ لاجتماعِها وكثرتها، والمَحشَر: الموضعُ الَّذي يُجتَمَع فيه. ويأتي الحَشْرُ بمعنى السَّوْق، فيُقال: حشرَ إبلَه، أي: ساقَها، والحَشْرُ أيضًا: الطَّرد والإخراج عنِ الأوطان ومن معانيه: الإزعاجُ، والتَّدقيق، والتَّلطيف[1]، والحَشْر: جمعُ الأقوام من كلِّ (صُقْعٍ) في مَوضِع واحِدٍ، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ٨٥﴾ [مريم: 85][2].

2) ﴿تَزۡعُمُونَ﴾: الزَّعمُ: حكايةُ قولٍ يكون مَظِنَّةً للكذب، يُقال: أمرٌ فيه مزاعم، أي: أمرٌ غير مستقيمٍ فيه منازعةٌ بعد؛ ولهذا جاء

(1) السّمعانّي، تفسير القرآن: 3/314.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، والجوهريّ، الصّحاح، والزّبيدي، تاج العروس: (حشر).

في القرآن في كلِّ موضع ذُمَّ القائلون به، نحو: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [التّغابن: 7]، وقيل: للمُتكفِّل والرَّئيس: زعيمٌ؛ للاعتقاد في قوليهما أنَّهما مَظِنَّةٌ للكذب، قال تعالى: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ۝٧٢﴾ [يوسف: 72]، وقوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝٤٠﴾ [القلم: 40]، إمّا منَ الزَّعامة، أي: الكفالة، وإمّا منَ الزَّعم بالقول[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

عند الحَشْرِ الأكبرِ، يُنادى على الشُّركاء المزعومين، ولكنَّهم لا ينفعون

واذكُرْ يومَ القيامة حين نجمعُهم جميعًا، لا نغادرُ منهم أحدًا، ثمَّ نقولُ للَّذين عبدوا مع اللّه غيرَه توبيخًا لهم: أينَ شركاؤكمُ الَّذين كنتُم تدَّعون كاذبين أنَّهم شركاءُ للّه؟[2]، هنالك تتهافتُ المعبوداتُ، وتَبْطُل الأباطيلُ، ولا يبقى إلّا ملكُ اللّهِ الجليل، فتوفَّى كلُّ نفسٍ ما كسبت، وهم لا يُظلَمون.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ العطفِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾:

تسليةُ اللهِ لنبيِّه ﷺ، تثبيتٌ له في مواجهةِ المشركين

قولُهُ تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾، عطفٌ على جملة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، أو على جملة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، لما بينهما من شدَّة الاتِّصال، فإنَّ مضمونَ هذه الجملِ المعطوفة له مناسبةٌ بمضمون جملة: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، ومضمونِ جملة: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾؛ لأنَّ مضمونَ هذه من آثار الظُّلم، وآثارِ عدم الفلاحِ، ولأنَّ مضمون الآيةِ جامعٌ للتَّهديد على الشِّرك والتَّكذيب، ولإثباتِ الحشر، ولإبطالِ الشِّرك.

دلالةُ النَّصبِ للَّفظ ﴿وَيَوْمَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾:

جاءت كلمةُ ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوبةً على المفعوليَّة بفعلٍ مُضمَر مُقدَّمٍ،

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (زعم).
(2) جماعة من علماء التّفسير، المختصر في تفسير القرآن، ص: 130.

تقديرهُ: اذكُرْ أوِ انظُرْ؛ تهويلًا للأمر، وللتَّخويف، والتَّحذيرِ، وفيه تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ بذِكْرِ مآلِ المكذِّبين له. ويجوز أن تكونَ منصوبةً لمحذوف مُتأخِّرٍ، تقديرهُ: (ويوم نحشرُهم ... كان كَيْتَ وكيتَ)؛ فتُرِكَ ليبقى على الإبهامِ الَّذي هو أَدْخَلُ في التَّخويف، وقد قُدِّر الفعلُ المتروكُ هذا ماضيًا ليدلَّ على التَّحقُّق[1]. و﴿وَيَوْمَ﴾: هو يومُ الحشر، يوم القيامة، وجاء بصيغة النَّكرةِ للتَّهويلِ والتَّعظيم. "انتصب ﴿وَيَوْمَ﴾ بمحذوفٍ تقديرهُ: واذكر يومَ نحشرهُم، قال ابن جرير: والمعنى: لا يُفلحونَ اليومَ، ولا يوم نحشرُهم"[2].

ذكـرَ الـظَّـرفَ تنويهًا بهولِهِ، وإبرازًا لما يحدثُ فيه من عظائمَ

إيثارُ لفظِ (الحَشْر) على (الجَمْع) في قولِهِ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾:

آثَر القرآنُ الكريمُ الحشرَ دون الجمعِ؛ لأنَّ الجمعَ له معنًى يختلفُ عنِ الحشرِ؛ فالجمعُ ضمُّ الشَّيء بتقريبِ بعضِهِ من بعضٍ؛ يُقال: جمعتهُ فاجتمعَ، بخلاف الحشرِ: فهو إخراجُ الجماعة عن مقرِّهم، وعلى ذلك؛ فالجمعُ يكون للمتفرِّق، وضمِّ الأجزاء بعضِها إلى بعضٍ؛ أمّا الحشرُ؛ فهو جمعٌ وزيادة؛ فكلُّ حشرٍ جمعٌ، وليس كلُّ جمعٍ حشرًا. وأيضًا الحشر فيه معنى السَّوق؛ لذلك قالوا: إنَّ معنى الحشرِ هو السَّوْقُ إلى أرضِ المحشرِ للحساب والجزاءِ، والجمع: (جمع الخلائق في أرض المحشر). وأيضًا: إنَّ التَّعبير بالحشرِ يشيرُ إلى كثرةِ الأعداد، بالنِّسبة للمكان؛ لذلك كان التَّعبيرُ القرآنيُّ مناسبًا لتصوير حالةِ الزِّحام الموجودة في أرض المحشر، حيثُ لم يقتصر الحشرُ على الإنسان، بل جمعَ معه ما عبَدَه من دون اللهِ، وفي هذا منَ التَّهويلِ والتَّفظيع ما فيه.

تـصـويـرُ حـالـةِ المـخـلـوقـاتِ في صعيدِ المحشرِ المهولِ

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾:

جاء التَّعبيرُ بالمضارع؛ ليصوِّرَ حالةَ الحشر للمشركين مع

(1) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 2/12، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/463، وأبو السّعود: إرشاد العقل السّليم: 3/119.

(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/16.

أصنامهِم، وكأنَّك تراهم في أرض المحشر، يُحشرُ كلُّ صنمٍ مع عابده، قال تعالى: ﴿۞ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصّافات: 22 - 23]، والمعنى: أي: نجمعُهم بما لنا من هَيْمَنةٍ وسطوةٍ وعظَمةٍ، وهم كارهون مذلولون صاغرون، لا حولَ لهم ولا قوَّة، والمقصودُ بهم أهلُ الكتاب والمشركون، والمخلوقون كلُّهم بلا استثناءٍ، ومعهم معبوداتهم الَّتي كانوا يعبدونها لتقرِّبهم إلى اللّه زُلفى، وفي ذلك إشارةٌ إلى عظمةِ ذلك اليوم، وطولِه ومشقّاتِه وأهوالِه، مع التَّعبيرِ بفعل ﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾، على حشر البشريَّةِ كلِّها في صعيدٍ واحدٍ أمامَ اللّه ربِّ العالمين.

لا أعظمَ من موقفِ الحشرِ المهولِ في عَرَصاتِ القيامةِ

دلالةُ ضميرِ الجمعِ (هم) في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾:

دلَّ ضميرُ الجمع على المشركين وأصنامهم، وفيه إشارةٌ إلى التَّهوين من شأنِهم؛ لأنَّهم في حكم الغَيْبةِ، فلا يأبه بهم، ولا يتكلَّم معهم، ومن موقف الحوارِ، ينتقل هؤلاء جميعًا انتقالًا سريعًا إلى موقفٍ آخر، هو موقفُ الحشرِ يوم القيامة... وإذا هم يلقون الجزاءَ الَّذي يستحقّونه، لِكُفرهِم باللّه، وتكذيبهم لرسولِ اللّه[1].

تَقْليلُ شأنِ المُشْرِكينَ ومَعْبوداتِهِمْ

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿جَمِيعٗا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا﴾:

آثَر القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ ﴿جَمِيعٗا﴾؛ ليدلَّ على أنَّ الحشر عامٌّ شامل، لا يَشِذُّ عنه أحد، حيث أكَّده، ونبَّه عليه اللّه (ﷻ)، باسم الإحاطةِ والشُّمول ﴿جَمِيعٗا﴾، فتعيَّن أنَّ ذِكْر ﴿جَمِيعٗا﴾، قُصِدَ منه التَّنبيهُ على ذلك، وفائدتُها: رفعُ احتمالِ التَّخصيص، أي أنَّ جميع المشركين ومعبوداتهم سيُحشرونَ أمامَ اللّه للحسابِ، والمقصودُ من حشر أصنامهِم معهم أن تَظهر مذلَّةُ الأصنام، وعدمُ جدواها[2]،

يُحشرُ أمامَ اللهِ المشركون والشُّركاءُ في خوفٍ وذلَّةٍ وترقُّبٍ

(1) عبد الكريم الخطيب: التّفسير القرآنّي للقرآن: 4/148.

(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/115، والقنّوجيّ، فتح البيان: 4/119، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/174، وابن عثيمين، تفسير ابن عثيمين - سورة الأنعام، ص: 128.

وصرَّح بـ ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾؛ لأنَّهم بعضُ ما شملَه الضَّمير، أي: ثمَّ نقولُ للَّذين أشركوا من بين ذلك الجمع.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿جَمِيعًا﴾ دون (كلِّ) في الآية:

جمعُ الجميعِ في محشرِ القيامة، دليلٌ على كمالِ قدرةِ اللهِ

التَّعبيرُ بلفظ ﴿جَمِيعًا﴾ في الآية يَحْتَمِلُ معنيين: الأوَّل: أن يكونَ بمعنى (كُلّ)، فيكون المعنى: ويوم نحشرهُم كلَّهم. والثّاني: أن يكون بمعنى (مُجتَمِع)، فيكون المعنى: ويوم نحشرهُم مجتمِعين، وقد يُراد المعنيان معًا، أي: يحشرهُم كلَّهم مجتمِعين، فبعدولِهِ إلى المفردة كسبَ المعنيين معًا، وهذا فيه كمالُ القدرة، وعظيمُ القهر، حيث جمعَهم مع أصنامِهم على هيئةٍ واحدة في مكانٍ واحد وزمانٍ واحد.

سرُّ التَّعبيرِ بلفظ ﴿جَمِيعًا﴾ دون (جميعِهم) في الآية:

الإطلاقُ للَّفظِ المعبَّرِ بهِ، أحسنُ من تقييدهِ بالضَّميرِ المضافِ إليه

عبَّر بلفظِ ﴿جَمِيعًا﴾؛ لأنَّها أوسعُ استعمالًا ومعنًى منَ المضافة، ألا ترى أنَّك لو قلتَ: (اللهم اكفني شرَّ مخلوقاتِكَ جميعًا)؛ كان المعنى محتمِلًا جميعَ الشَّرِّ، وجميعَ المخلوقات، ولو قلتَ: (اكفني شرَّ مخلوقاتِك جميعَه)؛ لكان نصًّا في الشَّرِّ، ولو قلت: (جَميعِها)؛ لكان نصًّا في المخلوقات[1].

سرُّ التَّعبيرِ بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾:

الانتقالُ بالتَّرتيبِ الرُّتبيِّ من خبرٍ إلى أعظمَ منه، فصاحةٌ وبيانٌ

عبَّر القُرآنُ الكَريمُ بحرفِ العطف ﴿ثُمَّ﴾؛ لأنَّ القولَ متأخِّرٌ عن زمن حشرِهم بمهلةٍ؛ لأنَّ حصَّة انتظارِ المجرِم ما سيحلُّ به أشدُّ عليه؛ ولأنَّ في إهمال الاشتغالِ بهم تحقيرًا لهم. إضافة إلى ذلك كان العطفُ بـ (ثمَّ) لتعدُّدِ الوقائعِ قبل هذا الخطاب الموجَّهِ للمشركين؛ إذ قبل ذلك سيكونُ قيامُهم من قبورِهم، ويكون هولُ الموقف، ويكون إحصاءُ الأعمال، وقراءةُ كلِّ امرئٍ لكتابه ... إلخ، ثمَّ يقول الله تعالى للَّذين أشركوا: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ

(1) السّامرائّي، معاني النّحو: 4/145.

﴿تَزْعُمُونَ﴾ ؟ فـ (ثمَّ) للتَّرتيب الرُّتبيِّ؛ وهو الانتقالُ من خبرٍ إلى خبرٍ أعظمَ منه[1].

دلالةُ القولِ في قولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾:

لا قولَ ولا شريكَ في المحشرِ يعلو على قـولِ اللهِ وعظمةِ سلطانِهِ

دلَّ القولُ على التَّقريع والتَّبكيت للمشركين، ولإقامة الدَّليل على بُطْلانِ عقيدتهم، وعَجْزِ أصنامِهم؛ فلا يستطيعون القولَ في هذا اليوم؛ لا دفاعًا عنكم، ولا دفاعًا عن أنفسهم، وهذا واضحٌ في إبراز عظمة المولى سبحانه، وأنَّه هو وحده المستحِقُّ للعبادة دون سِواهُ.

دلالةُ التَّعبيرِ بقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ بدلًا (منَ المشركين):

دورُ المشركين أنـفـسِـهـم في صناعةِ الهالةِ لمعبوداتِهم

عبَّر القرآنُ الكريم بقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾ بدلًا منَ المشركين؛ للإشارةِ إلى دورِهم في اتِّخاذ الأصنام والأوثان الَّتي أشركوها مع اللهِ في العبادة؛ فهمُ الَّذين صنعوها، واعتقدوا فيها، وكلُّ ذلك مأخوذٌ من دلالةِ الفعل ﴿أَشْرَكُوٓاْ﴾؛ لأنَّ الفعل يلزم منه وجودُ الحدثِ الَّذي يدلُّ على مَن قام به؛ أمّا لفظُ المشركين؛ فهو نتيجةٌ لهذا الفعل؛ فما وُصِفوا بالمشركين إلّا بعد أن أشركوا، وفيه إشارةٌ للإشعار بعلَّةِ التَّوبيخ والتَّقريع لهم.

إيثارُ الاستفهامِ بدلًا منَ الخبرِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾:

الاستفهامُ عن المعلومِ سلفًا للتَّقريرِ من أساليبِ الإقناعِ المؤثِّرةِ

آثَرَ القُرآنُ الاستفهامَ في الآية للتَّقرير، وهو: حملكَ المُخاطَب على الإقرارِ والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده، وفيه تثبيتٌ للأمر وتحقيقُه، فحينَ يُنتزَعُ إقرارُ المُخاطَبِ واعترافُه، يَكونُ ذلك أدلَّ على الالتزام، فهو استفهامُ إفضاحٍ لا إيضاح، وهذا يعني: أنَّ القضيَّة - موضوعَ الاستفهام - من معتقداتِ المُخاطَبين أساسًا، وممّا استقرَّ في أذهانهم، واستيقَنَتْها أنفسُهم، وإنَّما جاء الحديث عنها بصيغة الاستفهامِ ليُقِرّوا بها من تلقاء أنفسِهم، وهو من أساليبِ الإقناع المؤثِّرة.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/175، وطنطاويّ، الوسيط: 5/56، وابن عثيمين، تفسير ابن عثيمين - سورة الأنعام، ص: 128.

دلالةُ جناسِ الاشتقاقِ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾:

جـنـاسُ الاشـتـقـاقِ من المـحـسِّـنـات البديعيَّةِ الرَّائقةِ

في قوله: ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾، جناسُ اشتقاقٍ، فقد نُسِب المخاطَبون إلى الشِّرك، ووُصِفوا به على أنَّه علامةٌ لهم، وكان مضمون السُّؤالِ عن الأندادِ المعبودين من دون الله، وقد نُسِبوا هم أيضًا إلى الشِّرك، باعتبارهم مشرَكًا بهم الله، وقد تكرَّسوا لهذا الملمح ببيانٍ ودقَّةٍ.

بلاغةُ المجازِ في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

التَّحذيرُ منَ الشِّرك وأهلِهِ، وأنَّهُ من الجرائمِ العظمى في الإسلامِ

أين: أداةُ استفهامٍ عنِ المكان، واستُعمل هذا الاستفهامُ في الآيةِ عنِ الشُّركاء، وهم أشخاص، أي: إنَّ الاستفهام هنا عنِ المكان، والمرادُ منهُ ما مِن شأنه أن يكون حالًا في ذلك المكان، فهو مجازٌ مرسَلٌ علاقته الحاليَّة، وقد تولَّد عن هذا المجازِ كنايةٌ لطيفة عن انعدام الشُّركاء؛ لأنَّ السُّؤالَ عنِ المكان يعني عدمَ تعلُّقِ علمِ السّائل به، فإذا كان السّائلُ هو الله، تحوَّلَ عدم تعلُّق العلم بالمكان إلى انعدامِ الشُّركاء الَّذين دعاهم المشركونَ آلهةً؛ لأنَّهم لو كانوا بهذه الصِّفة لَعَلِمهمُ الله تعالى، ونفيُ علمِ الله تعالى بشيء، معناه الكنائيُّ: انعدامُ الشَّيء نفسه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: 23]، فنفيُ علم الله تعالى هنا معناه انعدامُ الخير فيهم، ولو كان موجودًا لَعَلِمَهُ اللهُ موجودًا[1].

علَّةُ الإضافةِ في قوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾:

الأصنامُ لا تنفعُ عابديها؛ لأنَّها لا تملكُ لهم نفعًا ولا ضُرًّا

أضاف الشُّركاءَ إليهم إضافةَ اختصاصٍ؛ لأنَّها لم تكن شركاءَ لله في الحقيقةِ؛ بل لمّا سمَّوها شركاءَ أُضيفت إليهم، وهي ما كانوا يعبدونه من دون اللهِ أو معَ الله، أو لأنَّهم كانوا من جنسِهم وجوهرِهم، يَفنَون كما يَفنَون هم[2]، "فإضافةُ الشُّركاءِ إليهم لأدنى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/174، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/297.
(2) الواحديّ، البسيط: 3/471، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 1/330، والقنّوجيّ، فتح البيان: 4/119.

ملابسة، أي: لمجَرَّد العلاقة النَّفسيَّة والفكريَّة الَّتي نَحَلَتْها عقولهُم السَّقيمةُ في إدراكها لهم، وهل كانوا غائبين عنهم، حتَّى يبحث عن مكانهم؟ لعلَّ ذلك يكون، ولعلَّ حالهم من أنَّهم لا قوَّة لهم، وليس لهم الشَّفاعة القريبة، ولا النُّصرةُ القادرة، يعتبرون كأنَّهم شيءٌ معدوم، يسألون عنه"[1].

سرُّ العدولِ عن ذكرِ الأصنامِ والأوثانِ إلى التَّعبيرِ بالشُّركاءِ:

كـلُّ مـا يعبدُ مـن دونِ اللهِ في الأرضِ أو الـسَّـمـاءِ فهو شريكٌ

عَدَلَ القرآنُ الكريم عن ذِكر الأصنام والأوثان؛ للتَّقليل والتَّهوين من شأنهم؛ فليسوا أهلًا للذِّكر ولا للخطاب، وسمّاهم شركاءَ على زَعْمِهم وتسميتِهم، والشُّرَكاءُ ليستِ التماثيلَ والأصنامَ المعبودةَ عندهم فحسبُ، بل تشمل كلَّ معبودٍ من دون اللهِ في الكون، فقال: "﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، في الدُّنيا أنَّها تشفعُ لكم، وعبدتُموها من دون الله، الملائكة وغيرهم، منَ الإنسان والكواكبِ والحيوانِ والجماد"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بـ﴿كُنتُمْ﴾ في قولهِ: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

مَـنْ ضَـلَّ في دينهِ عن درايةٍ وعلمٍ كان من الخاسرينَ

عبَّر القرآن الكريمُ بالفعل ﴿كُنتُمْ﴾، للدَّلالة على تمكُّنِ هذه العقيدة الباطلةِ فيهم؛ فما كان شِرْكُهُم لهذه الأصنام عفويًّا، بل كان عن قناعةٍ واعتقاد، والحال أنَّ النَّقلة من الدُّنيا إلى الآخرة قد تمَّت، وأنَّهم كانوا يعبدونها، وما أصبحت معبودةً في الآخرة، بل كانت معبودةً قبل ذلك، فقال لهم: أين شركاؤكم الَّذين كنتم تزعمونَ، أي: تزعمونها شركاءَ، لقد غابت عنهم في ذلك الموقفِ العصيب، أو كانت حاضرةً ولكن لا ينتفعون بها بوجهٍ من الوجوهِ، فكان وجودُها كعدمها[3].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/119.
(2) عبد القادر العاني، بيان المعاني: 3/331.
(3) الشّوكانّي، فتح القدير: 2/122.

دلالةُ حذفِ مفعولَي (زعم) في قولهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

عـنـدَ الـوقـوفِ بين يديهِ يتبرَّأُ الـشَّـريـكُ من عابديهِ

في الآية الكريمة حُذِفَ مفعولا زعمَ، أي: الَّذين كنتم تزعمونَهم شركاءَ، فحُذفا اختصارًا لدلالةِ الكلام عليهما؛ وتحقيرًا للزَّعم والشُّركاء الَّذين يزعمونهم، وكأنَّما الآيةُ الكريمة بهذا الحذفِ تصوِّرُ هؤلاء المشركين، وأنَّ أمرهم إلى ضياعٍ"[1]. وهذا السُّؤالُ المُنبِئُ عن غَيْبة الشُّركاءِ، مع عموم الحشرِ لها، لقوله تعالى: "﴿۞ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الصّافّات: 22 - 23]، وغيرِ ذلك من النُّصوص - إنَّما يقعُ بعد ما جرى بينها وبينهم من التَّبرُّؤِ من الجانبين، وتقطُّعِ ما بينهم من الأسبابِ والعلائقِ"[2].

سرُّ التَّعبيرِ بـ (الزَّعم) في قولهِ: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

بـيـن الـزَّعـمِ والـكـذبِ عمومٌ وخصوصٌ، ولم يـأتِ في الـقرآنِ إلَّا في الذَّمِّ

عبَّر بالزَّعم، وهو القولُ الموسوم بمخالفةِ الواقعِ خطأً، فمنه الكذبُ الَّذي لم يتعمَّد قائلهُ أن يُخالف الواقعَ في ظنِّ سامعه، ويُطلَق على الخبرِ المُستغرَبِ المشكوك في وقوعِ ما أخبرَ به، وعن شريحٍ: لكلِّ شيءٍ كنيةٌ، وكنية الكذب: زعموا، (أراد بالكنية الكنايةَ)، فبين الزَّعم والكذب عمومٌ وخصوص وجهيٌّ، ولم يأتِ في القرآن إلّا في محلِّ الذَّمِّ، ونبَّه عليه الرّاغب والمُناويُّ[3]. وقد عبَّر القرآن الكريم عن شِرْكِهم وعبادتهم بالزَّعم؛ لأنَّه كذبٌ، فلا أصلَ له في الوجودِ ولا في الحقيقة؛ فحقيقةُ الإنسان الفطرةُ الإيمانيَّة الخالصةُ، فلا تَعرفُ إلّا اللّهَ إلهًا واحدًا، وكلُّ الأجناس في الوجود تُنكِرُ الشِّركَ باللّهِ ربِّ العالمين، بل تتبرَّأُ ممَّن عبدَها من دون اللّه.

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾:

عبَّرَ بالفعلِ المضارع ﴿تَزْعُمُونَ﴾ للدَّلالةِ على تجدُّد هذا الزَّعم؛

(1) أبو شادي، الحذف البلاغيّ في القرآن الكريم، ص: 59.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/119، والسمين، الدر المصون: 4/572.
(3) الرّاغب، المفردات: (زعم)، والمناويّ، التّوقيف: 1/386.

فكلَّما دعاهم الرَّسول ﷺ إلى ترك الإشراكِ باللّه، وتركِ الأصنامِ والأوثان، زعموا أنَّها تضرُّ وتنفعُ، واعتقدوا فيها؛ بل اعترضوا على الرَّسول ﷺ، وقالوا: كيف يجعلُ هذهِ الآلهةَ المتعدِّدةَ إلهًا واحدًا! واعتبروا ذلك شيئًا عجيبًا، وتفسيرُ ذلك الزَّعمِ مرتبطٌ بتهافتِ هاتهِ الآلهةِ المزعومة، إذْ "سيَسأل اللّه المشركينَ عن الَّذين عبدوهم من دونِ اللّهِ كذبًا: أين هؤلاءِ الآلهة الَّتي أشركَها الكافرون في العبادةِ مع اللّهِ؟ ولماذا لا يتقدَّمون لإنقاذ عبيدِهم من العذابِ الَّذي يصليه اللّهُ لهم؟ ويقرِّع سبحانه المشركين، ويحشرُهم مع ما عبدوهم من دون اللّهِ من الأصنامِ والأوثان، وفي ذلك قمَّة الإهانة لهم، ولتلك الآلهةِ"[1].

تـجـدُّدُ الـزَّعـمِ الـبـاطـلِ، دليلٌ عـلـى تـجـدُّدِ الضَّلالةِ في كلِّ الأزمانِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الحشر) و(الجمع):

الحشرُ: هو الجمعُ مع السَّوْقِ، ومنه يومُ الحشر؛ لأنَّ الخلقَ يُجمعون فيه، ويُساقون إلى الموقفِ، قال الرّاغب: "ويُقال ذلك في الإنسانِ وفي غيره، ولا يُقال الحشرُ إلّا في الجماعة، قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التّكوير: 5]"[2]. وأمّا الجمعُ؛ فهو ضمُّ الشَّيءِ بتقريب بعضهِ من بعض؛ يقال: جمعتهُ فاجتمعَ، وعلى ذلك فالحشرُ يختلف عنِ الجمع؛ فكلُّ حشرٍ جمعٌ، وليس كلُّ جمعٍ حشرًا.

الـحَـشْـرُ جمعٌ مع سَوْقٍ، وكلُّ حـشـرٍ جـمـعٌ، وليس كلُّ جمعٍ حشرًا

(كلّ) و(جميع):

فرَّقَ العلماءُ بين (كلٍّ) و(جميع) أيضًا، فقالوا: "إنَّ (كلَّ) تدلُّ على كلِّ فردٍ بطريق النُّصوصيَّةِ، بخلاف (جميع)، فإنَّه يدلُّ على كلِّ الأفرادِ، وهو الَّذي يرادُ من قولهم: وإنَّ (جميع) للعمومِ الإحاطيِّ، وفرَّقتِ الحنفيَّة بينهما؛ بأنَّ (كلَّ) تعمُّ الأشياءَ على الانفراد،

لَـفْـظَـةُ (كـلٍّ) تـدلُّ عـلـى كـلِّ فـردٍ خصوصًا، و(جـمـيـع) تدلُّ على كلِّ الأفرادِ

(1) الشّعراوي، تفسير الشّعراويّ (الخواطر): 6/3560.
(2) الراغب، المفردات: (حشر).

و(جميع) تعمُّها على سبيل الاجتماع"[1]، وفي القرآن: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس: 32]، "فإنْ قال قائلٌ: كلٌّ وجميعٌ بمعنًى واحدٍ، فكيف جعل جميعًا خبرًا لكلٍّ، حيثُ دخلت اللّامُ عليه؛ إذ التَّقديرُ: وإنْ كلٌّ لجميع؟ نقول: معنى جميع: مجموعٌ، ومعنى كلٍّ: كلُّ فردٍ بحيث لا يخرج عن الحكمِ أحدٌ، فصار المعنى: كلُّ فرد مجموعٌ مع الآخر مضمومٌ إليه"[2].

(الزَّعم) و(الظَّنّ) و(الحِسْبان):

يكون الزَّعمُ والحِسْبانُ غالِبًا فيما هو باطلٌ، والظَّنُّ ترجيحًا لأحدِ طرفي الشَّكِّ

الظَّنُّ: ضربٌ من الاعتقادِ، وقد يكونُ حِسْبانًا ليس باعتقادٍ، قال العسكريُّ رحمه الله تعالى: أصلُ الحِسْبانِ منَ الحساب، ثمَّ كثُر حتَّى سمّي الظَّنُّ حِسْبانًا على جهة التَّوسُّع، وصار كالحقيقة بعد كثرةِ الاستعمال، وفرَّق العسكريُّ بين الحِسْبانِ والزَّعم؛ بأنَّ الحِسْبانَ لا يكون إلّا باطلًا، والزَّعم قد يكون حقًّا، وقد يكون باطلًا، قال الشّاعر:

تُعاتِبُني في الرِّزق عِرْسي وإنَّما*** على الله أرزاقُ العبادِ كما زَعَم!

فإنَّ هذا الزَّعمَ حقٌّ[3].

وما قاله العسكريُّ فيه نظرٌ؛ فالحِسْبانُ قد يكون فيما ليس باطلًا، كقوله تعالى: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ [النّمل: 44]، وقوله تعالى: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا﴾ [الإنسان: 19]، فالغالبُ أن يكون الزَّعمُ والحِسْبانُ فيما هو باطلٌ، والحِسْبانُ توهُّمُ كونِ الشَّيءِ على صفةٍ ليس عليها، والزَّعم: حكايةُ قولٍ يكون مَظِنَّةً للكذب، والظَّنُّ ترجيحُ أحدِ طرفي الشَّكِّ[4].

(1) السّغناقيّ، الكافي شرح أصول البزدويّ: 2/717، والسّامرائّي، معاني النّحو: 4/146.
(2) الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/271.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 41 - 42.
(4) عبد العظيم، موسوعة الفروق القرآنيّة: 2/705.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»